لماذا لم أذكر حسنات جماعة التبليغ؟

أيْ بُنَيَّ، لقدْ أكثرتُ عليكَ، وأكْثرُ مِنْ نقلِ فتاوىٰ العلماءِ المُعاصِرينَ لجماعة التَّلبليغِ؛ ليتبيَّنَ لكَ خُرُوجُ الأَمرِ مِنْ أيديهم، ولتزدادَ بصيرةً بحالِ هَذِهِ الجماعة.

ولعلَّ سائلاً يسألُ: لماذا لمْ تذكرْ محاسِنَهُمْ - وهي كثيرةٌ مشهورةٌ - ؟.

والجواب عليه: أنَّهُ لا يَلْزَمُ مَنْ يَذْكُرُ الخَطَأَ، ويَرُدُّ للهِ - أنْ يَذْكُرَ الحسناتِ، وهَذِهِ فتاوىٰ مَنْ أَمَرنا اللهُ - سبحانهُ وتعالىٰ - بالرُّجوعِ إليهم، وأَمَرنَا بطاعَتِهِمْ، وكلُّها قاضيةٌ بإبطالِ مَنْهَجِ المُوازَنَةِ بَيْنَ المَحاسِنِ والمساوئ عندَ التَّحْذيرِ:

أوَّلاً - فتوى العلاَّمة ابن باز - رحمه الله -:

سُئِلَ - رحمه الله -: بالنسبَةِ لمنهجِ أَهْلِ السُّنَّةِ في نَقْدِ

أَهْلِ البِدَعِ وكُتُبُهم، هَلْ منَ الواجبِ ذِكْرُ محاسنِهِمْ ومساوئهِمْ، أمْ فقط مساوئهم؟

الجواب:

«المعروفُ منْ كلامِ أهْلِ العِلْمِ نَقْدُ المساوئِ للتَّحْذيرِ، وبَيانُ الأَخْطاءِ الَّتي أَخْطَئوافيها للتحذيرِ منها، أمَّا الطيِّبُ فمعروفٌ مقبولٌ.

لكن المقصود التحذير من أخطائهم: الجهميَّة، المُعْتزلة، الرَّافضة، وما أشبه ذلك، فإذا دَعَتْ الحاجةُ إلىٰ بيانِ ما عندَهُمْ منْ حَقٍّ يُبَيَّنُ، وإذا سَأَلَ السائلُ: ماذا عندهم من الحقِّ؟ وماذا وافقوا فيه من السُّنَّة؟ والمسئولُ يَعْلَمُ ذلك يُبَيِّنُ.

لكن المقصود الأعظم والمهمّ البيان لما عندهم منَ الباطلِ؛ ليحذره السائل، ولئلاَّ يميلَ إليهم» (١).

(١) كتاب «المحجَّة البيضاء» (ص٧، ٨)

ثانيًا - فتوى الإمام محمَّد ناصر الدِّين الألباني - رحمه الله -:

سُئلَ - رحمه الله - : شيخنا، الشَّبابُ هؤلاء جعلوا أشياءَ كثيرةً، من ذلك قولُهم لمن أراد أنْ يتكلَّمَ في رجلٍ مُبْتَدِعٍ، قد بانَ ابتداعُهُ، وحَرْبُهُ للسُّنَّةِ، أوْ لم يكنْ كذلك، لكنَّهُ أَخْطَأَ في مسائلَ تتَّصِلُ بمنهجِ أَهْلِ السُّنَّة والجماعةِ: لا يتكلَّم بذلكَ أحدٌ، إلاَّ مَنْ ذَكَرَ بقيَّة حسناتِهِ، وما يُسمُّونه بالقاعدةِ (الموازنة بَيْنَ الحسناتِ والسَّيِّئات)، هَلْ هَذه قاعدةٌ على إطْلاقِها؟، نريدُ منكُمْ التَّفصيلَ في الأمرِ.

الجواب:

التَّفصيلُ - وكُلُّ خيرٍ في اتِّباعِ مَنْ سَلَفَ - هل كان السَّلَفُ يفْعَلونَ ذلك؟ هَذه طريقةُ المُبْتَدِعة، حينما يتكلَّمُ العالِمُ بالحديثِ في رجلٍ صالحٍ وعالمٍ فقيهٍ، فيقول عنه: سَيِّئُ الحِفْظِ، هلْ يقولُ: مسلمٌ، وصالحٌ، وأنَّهُ فقيهٌ، وأنَّهُ يُرْجَعُ إليه في استنباطِ الأحكامِ الشَّرْعيَّة؟! اللهُ أكبرُ.. مِنْ

أيْنَ لهم أنَّ الإنسانَ إذا جاءتْ مناسبةٌ لبيانِ خطإِ مُسْلِمٍ – إنْ كانَ داعيَةً أو غَيْرَ داعيةٍ – لازم يعملُ محاضرةً، ويذكرُ محاسنَهُ من أوَّلها إلىٰ آخرها؟ اللهُ أكبرُ، شيءٌ عجيبٌ!.

قالَ الشَّيْخُ علي حسن: من عجائبِ هؤلاءِ – شيخنا – قالوا: ربُّنا لَمَّا ذكرَ الخَمْرَ ذَكَرَ فوائدَهَا.

قالَ الشَّيخُ الألبانيُّ: اللهُ أكبرُ!، هؤلاءِ يتَّبعونَ ما تشابَهَ منه ابتغاءَ الفتْنَةِ وابتغاءَ تأويله» (١).

ثالثًا - فتوى الشَّيْخ محمَّد بن صالح العُثَيْمين - رحمه الله -:

سُئلَ – رحمه اللهُ – : يقولُ عدنان عرعور: إنَّهُ من العَدْلِ والإنْصافِ – عندَ النصيحة والتَّحْذيرِ منَ البِدَعِ وأَهْلِها – أَنْ تُذْكَرَ حسناتُهُم إلىٰ جانبِ سيِّئاتِهِمْ.

الجواب:

«أقولُ: لا، لا، لا هذا غلطٌ.

---

(١) من شريط «أسئلة مصطفى السليمانيّ» للعلاَّمة الألبانيّ.

السائل طبعًا - يا شيخ - تبعًا لهذه القاعدة - يقول: إنَّكَ إنْ ذَكَرْتَ محاسنَ أهْلِ السُّنَّةِ مِنَ العَدلِ والإنصافِ أنْ تَذْكُرَ مساويهم إلىٰ جانبِ حسناتهم.

الشيخ: اسمعْ - يا رجل - في مكانِ الرَّدِّ لا يَحْسُنُ أنْ تُعَدَّ محاسنُ الرَّجُلِ؛ إذا ذكرتُ محاسنَ الرَّجُلِ، وأنا أردُّ عليه، ضَعُفَ ردِّي.

السائل: حتَّىٰ أَهْلِ السُّنَّةِ - يا شيخَنا -؟

الشَّيْخُ: أهل السُّنَّة وغير أهلِ السُّنَّة، كيف أردُّ عليه، وأنا أمدحُهُ، هذا معقولٌ؟!» (١).

رابعًا - فتوى الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -:

سُئِلَ: هَلْ يلْزمُنَا ذِكرُ محاسنِ مَنْ نُحَذِّر منهم؟.

الجواب: «إذا ذكرتَ محاسنَهم فمعناه: أنَّكَ دعوتَ لاتِّباعهم، لا، لا، لا تَذْكُرْ محاسنهم، اذكر الخَطَأَ الَّذي هُم عليه فقطْ؛ لأنَّهُ ليس موكولاً إليك أنْ تُزَكِّيَ وضعَهُم، أنت

(١) من شريط «أقوال العلماء لإبطال قواعد عدنان عرعور» رقم (١).

موكولٌ إليك بيانُ الخَطَإِ الَّذي عندهم مِنْ أَجْلِ أنْ يَتوبوا منه، ومِنْ أَجْلِ أنْ يَحْذَرَهُ غيرُهم، والخطأُ الَّذي هم عليه رُبَّما يذْهَبُ بحسناتهم كُلِّها، إنْ كانَ كُفراً أو شِرْكًا، ورُبَّما يرجحُ علىٰ حسناتِهِمْ، ورُبَّما تكونُ حسناتٍ في نَظَرِكَ وليستْ حسناتٍ عندَ اللهِ»(١).

خامسًا - فتوى العلاَّمة أحْمَدْ بْن يحْيَى النَّجمي - حفظهُ اللهُ - :

سُئلَ - حفظه اللهُ - : يقولُ عدنان عرعور: مِنَ العَدْلِ والإنصاف - عِنْدَ النَّصيحةِ والتَّحْذير - ذِكْرُ الحسناتِ والسَّيِّئاتِ، فما قولُ سماحتِكُمْ في هذه القاعِدَةِ؟.

الجواب: «هذه قاعدةٌ باطلةٌ، هذه القواعدُ عندَ المُبْتَدِعينَ، يُريدون أنْ يَرُدُّوا بها الحقَّ، ليسَ مِنَ الواجبِ علىٰ مَنْ يذكرُ الخَطَأَ، ويَرُدُّ عليه - أنْ يَذْكرَ الحسنات؛ فالنَّبيُّ -ﷺ- عندما استشارتْهُ فاطمةُ بِنْتُ قَيْسٍ بخِطْبَةِ أبي جَهْمٍ

(١) من كتاب «الأجوبة المفيدة» للفوزان (ص١٣، ١٤)

ومُعاويةَ، قال: «أمَّا أبو جَهْمٍ فضَرَّابٌ للنِّساء، وأمَّا مُعاويةَ فصُعْلوكٌ لا مالَ لهُ؛ ولكنْ انْكِحي أُسامةَ»[١]، وما ذكَرَ حسناتِهمْ، وهكذا كذلك لَمَّا قالتْ زوجةُ أبي سُفيانَ شَكَتْهُ وقالتْ: «إنَّ أبا سُفيانَ رجلٌ شحيحٌ»[٢] ما ردَّ عليها، وقال لها: ما يجوزُ لك أنْ تذكريه في هذا الوقْتِ، بلْ إنَّ النَّبيَّ -ﷺ- أمرها أنْ تأْخُذَ الَّذي يكفيها وبنيها بالمعْروفِ.

فهذا القولُ (أي القولُ بالموازَنةِ) قولٌ باطلٌ، وقَدْ رَدَّ عليهم بعضُ المشايخِ: كالشيخِ ربيع، بل ردَّ عليهم في كتابٍ»[٣].

سادسًا - فتوى الشيخ العبيلان:

سُئلَ: هُنا يقول عدنان عرعور: إذا كانتْ المسألةُ دِراسةً لعينِ الرَّجُلِ، فلابُدَّ مِنْ ذكرِ الحَسَنَاتِ والسَّيِّئاتِ.

---

(١) رواه مسلم (١٤٨٠)

(٢) رواه البخاريُّ (٥٣٦٤)، ومسلمٌ (١٧١٤)

(٣) من شريط «أقوال العلماء في إبطال قواعد عدنان عرعور» رقم (١).

الجواب:

«المسألة هذه فيها تفصيلٌ: إنْ كان المجالُ مجالَ ردٍّ وتقويمٍ، فلا داعيَ لذكرِ الحسناتِ؛ لأنَّ هذا يُهَوِّنُ مِنْ قيمةِ الرَّدِّ والتَّقويم.

وإنْ كانَ المجالُ مجالَ تَرْجَمَةٍ للرَّجُلِ، فحينئذ لا حَرَجَ أَنْ يذكرَ ما لَهُ وما عليه»[١].

(١) المرجع السابق.

خلاصة القول
في منهج الموازنة

أي بُنَيَّ، لقد تبيّنَ لك - مِنْ خِلالِ ما سبقَ - أنّهُ متىٰ أَرَدْنا أن نُحذِّرَ من الجَهَلَة المُتعالين - أو من المُبْتَدِعَة الضَّالّينَ - فليس هناك دليلٌ شرعيٌّ يُلْزِمُنا أنْ نَذكرَ حسناتهم - إنْ وُجِدَتْ -؛ فإنَّ حسناتِهِمْ عائدَةٌ إليهم، بَيْنَما مُنْكراتهم ومُخالفاتهم راجِعَةٌ إلىٰ الأُمَّة، لكنْ في بابِ التَّرْجَمة فلابُدَّ أَنْ نذكرَ الحسناتِ والسَّيِّئاتِ، وهذه هي طريقةُ السَّلَف، قال رافعُ بْنُ أشْرَسَ - رحمه اللهُ -: «مِنْ عُقوبَةِ الفاسِقِ المبتدع ألاَّ تذكرَ محاسنَهُ» (١).

وفي بابِ التَّرجمةِ انظُرْ - علىٰ سبيلِ المثالِ - «سير أعلام النُّبلاء» للذَّهبيِّ، فهذا كتابٌ تراجمَ للأعلامِ والنُّبلاءِ

(١) انظر «شرح علل التِّرْمذيِّ» لابن رجب (١/٣٥٣).

في الإسلامِ، فإنَّهُ حينَ جاءَ يُتَرْجِمُ للحجَّاجِ ين يوسُفَ قال: «ولَهُ حسناتٌ غارقةٌ في بَحْرِ ذُنوبِه، وأَمْرُهُ إلىٰ اللهِ، ولَهُ توحيدٌ في الجُملة، ونُظراء مِنْ ظَلَمَةِ الجبابِرَة والأُمراء» (١) ومثلُ هذا كثيرٌ.

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (رقم ١٤٧٠)

كلمة قبل الوداع

أَيْ بُنَيَّ، قبلَ أنْ أُغْمِدَ القَلَمَ، أُوصيكَ بالتَّمَسُّكِ بالكتابِ والسُّنَّة، وفَهْمِهِما بفَهْمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، كما أُوصيكَ بالرُّجوعِ إلىٰ أهلِ العِلْمِ في كُلِّ ما أشْكَلَ عليكَ، بَلْ أُوصيكَ بطلبِ العِلْمِ علىٰ يَدِ أهلِ العِلْمِ المعروفين بسلامَةِ المُعْتَقَدِ، وصحَّةِ المَنْهَجِ، ولُزُومِ السُّنَّةِ قولاً وعملاً، الَّذينَ يجْعَلونَ ما بُعِثَ به الرَّسولُ -ﷺ- منَ الكتابِ والحِكْمَةِ هُوَ الأصل، الَّذي يعتقدونه ويعتمدونَهُ؛ فإنَّ العِلْمَ ثباتٌ وعِصْمَةٌ منْ فِتَنِ الشَّهَواتِ والشُّبُهاتِ.

عَلَيْكَ بأَهْلِ العِلْمِ، فارْغَبْ إليهم
يُفيدوكَ عِلْمًا؛ كي تكونَ عَليما
ويَحْسَبُ كُلُّ النَّاسِ أنَّكَ منْهُم
إذَا كُنْتَ في أَهْلِ الرَّشادِ مُقيما
فكُلُّ قَرينٍ بالْمُقارِنِ مُقْتَدٍ
وَقَدْ قَالَ هَذا القائلونَ قديما

ومتىٰ تَضَلَّعْتَ في عِلْمِ الكتاب والسُّنَّة، فليَكُنْ شعارُكَ دائماً:

مُنايَ مِنَ الدُّنيا عُلُومٌ أَبُثُّها
وَأَنْشُرُها في كُلِّ بادٍ وحَاضِرِ
دُعاءٌ إلىٰ القُرآنِ والسُّنن الَّتي
تَنَاسَىٰ رِجَالٌ ذِكْرَها في المَحَاضِرِ

رَزَقنا اللهُ – وإيّاكَ وجميعَ المسلمينَ – الفِقْهَ في الدِّينِ، والثَّباتَ علىٰ الحقِّ المُبين، وجَعلَنا هُداةً مُهْتَدين.

والسَّلامُ عليكمْ ورحمةُ الله وبركاتُهُ.

أبي عبد الله
فيصل بن عبده قائد الحاشدي